الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم: التاريخ

الإمام المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطالب :
عبد الله حاج أحمد جعفري

إشراف الأستاذ :
مبارك

لجنة المناقشة :

- الدكتور علي غنابزية رئيسا
- الأستاذ مبارك جعفري مشرفا ومقررا
- الأستاذ عبد القادر كركار مناقشا

الموسم الجامعي : 1431- 1432هـ / 2010 - 2011م

مـــــــــــــــقدمة:

لقد عرف العالم الإسلامي خلال القرنيين التاسع والعاشر الهجريين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين الكثير من التحولات، كبلوغ الدولة العثمانية إلى أوج قوتها وتوسعها، وسقوط غرناطة 1492م، وطرد المسلمين من الأندلس مما أدى إلى اضطراب، وتدهور الأوضاع في المغرب الإسلامي، وظهور التحرشات الإسبانية البرتغالية على شواطئه مع تزايد نفوذ، وسيطرة اليهود على التجارة في حوض البحر المتوسط والصحراء الكبرى، التي قامت على ضفافها الجنوبية، وازدهرت ممالك إسلامية تعدت شهرتها الأفاق كمملكة غانا، ومالي، وسنغاي، والهوسا.

وفي خضم هاته الأحداث والتطورات، برز الكثير من العلماء والمصلحين في المغرب الإسلامي وأفريقيا الغربية في محاولة لإصلاح الظروف والأحوال، والثورة على الأوضاع القائمة، ومن أبرزهم نجد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كان له دور إصلاحي كبير في المنطقة. ومن هنا كان اختيارنا للموضوع، والذي جاء تحت عنوان: "**الإمام المغيلي ودوره الإصلاحي في السودان الغربي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي**".

وقد **حفّزنا** لاختيار هذا الموضوع عدّة دوافع، أهمها: الاهتمام المبكر بالموضوع والذي يعود إلى فترات الدراسة، حيث ساهمت في إنجاز بحث حول "حياة المغيلي وأثاره"، وذلك عند دراستنا لمقياس إفريقيا الإسلامية، وهو ما حملني على الإعجاب بشخصيته العلمية ودعوته الإصلاحية دون أن أخفي الميل العميق للمعرفة، والإطلاع على كل ما يتعلق بتاريخ توات عامة، وما يربطها من علاقات بإفريقيا الغربية خاصة.

وحاولت من خلال اختيار هذا الموضوع معالجة **الإشكالية** الآتية:

من هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي؟ وماهي معالم حركته الإصلاحية بالسودان الغربي؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية منها: ما هي المصادر العلمية التي ساهمت في تكوين الشخصية الفكرية للمغيلي؟ وما هي أبرز محطات حياته؟ وفيما تتمثل أهم الأعمال التي قام بها خلال دعوته الإصلاحية بالسودان الغربي؟ وما مدى نجاح الإمام المغيلي في مهمته الدعوية هناك؟ وما هي أهم الآثار التي تركتها هذه الإصلاحات على المستوى القريب والبعيد؟

أما عن المنهج المتبع فقد اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج الوصفي التاريخي، وذلك من خلال تقصي الوقائع، وتتبع الأحداث التي رسمت الحياة العلمية والدعوية للإمام المغيلي، كما استعنت بالمنهج التحليلي في محاولة لتحليل الأحداث لمعرفة أسبابها الحقيقية، والأهداف التي ترمي إليها مع إبداء الرأي حولها متى اقتضت ذلك متطلبات الدراسة.

ولقد **قسمت هذه الدراسة** على فصلين وخاتمة جاء الفصل الأول عن حياة الإمام المغيلي، وقسمته إلى مبحثين تضمن المبحث الأول التعريف بالإمام المغيلي وتناولت فيه مطلبين، حيث تعرضت في المطلب الأول لمولد الإمام المغيلي ونشأته وشيوخه وتلاميذه، بينما تعرضت في المطلب الثاني لوفاته، وأهم أثاره العلمية، وثناء العلماء عليه، أما المبحث الثاني فكان حول رحلة الإمام المغيلي لإقليم توات واستقراره بها، وتضمن بدوره مطلبين، حيث تعرضت في المطلب الأول لأوضاع توات على عهد الإمام المغيلي، بينما تضمن المطلب الثاني موقفه من يهود توات.

وتطرقت في الفصل الثاني للدور الإصلاحي للإمام المغيلي في السودان الغربي، وقسمته إلى مبحثين تضمن المبحث الأول رحلة الإمام المغيلي للسودان الغربي، وتناولت فيه مطلبين، حيث تعرضت في المطلب الأول لأوضاع السودان الغربي، بينما تعرضت في المطلب الثاني لتنقل المغيلي للسودان الغربي عرجت فيه على طرق سير المغيلي بهذه البلاد منذ خروجه من توات حتى رجوعه إليها، أما المبحث الثاني فكان حول الجهود الإصلاحية للإمام المغيلي ببلاد السودان الغربي وتأثيرها، وتضمن بدوره مطلبين، حيث تعرضت في المطلب الأول لدعوته الإصلاحية بإمارات الهوسا، بينما تضمن المطلب الثاني دعوته الإصلاحية بمملكة

سنغاي، **وقد أنهيت** البحث بخاتمة خلصت فيها إلى مجموعة من النتائج، التي توصلت إليها من خلال دراسة الموضوع، كما أرفقت البحث ببعض الملاحق، تتعلق بالخرائط التوضيحية وصور من المخطوطات.

واعتمدت في دراسة هذا الموضوع على العديد من **المصادر والمراجع** المتنوعة أهمها: بعض المخطوطات الموجودة بخزائن الديار التواتية كالرسائل المخطوطة التي ألفها المغيلي منها مخطوطة "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة"، والمتعلقة بأهل الذمة عموماً وباليهود خصوصاً، ومخطوط "مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، ومخطوط "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب"، وأيضا مخطوط "درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" لمحمد بن عبد الكريم البكراوي، ومخطوط "الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب توات" لمحمد بن العالم الزجلاوي، بالإضافة إلى الكتب المصدرية التي تناولت حياة الإمام المغيلي منها كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التنبكتي، وكتاب "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" لابن مريم التلمساني، وكتاب "دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر" لابن عساكر، وكتاب "المعيار المعرِب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب " لأحمد الونشريسي.

ومن المراجع المهمة التي اعتمدت عليها في الدراسة كتاب: "الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من ق 5 إلى ق 12 هـ" لمؤلفه أبو بكر إسماعيل ميقا، وكتاب "الحضارة العربيّة والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء" لعبد القادر زبايديّة، وهذا دون أن أغفل عن من سبقوني في البحث حول حياة المغيلي من الرسائل الجامعية ومنها: رسالة "محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات –عصره وأثاره–" للأستاذ أحمد الحمدي، ورسالة "الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي" للأستاذ ياسين شبايبي ورسالة "محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا" للأستاذة منيرة بوغرارة.

ولقد واجهتني **عدة صعوبات** أثناء تناولي لهذا البحث أهمها: صعوبة الوصول إلى المصادر المتعلقة بالموضوع، خصوصا في جانب المخطوطات، إذ يتعذر الحصول على نسخة من أي مخطوط نظرا لقلة تفهم بعض أصحاب خزائن المخطوطات في توات، بالإضافة إلى صعوبة التنقل لبلاد السودان الغربي لأجل الوقوف على الآثار المتبقية للإمام المغيلي بسبب بعد المسافة، وضيق الوقت، وقلة الإمكانيات، كما تجدر الإشارة لقلة المراجع والدراسات التي تناولت مختلف الجوانب الإصلاحية التي ساهم بها المغيلي في السودان الغربي على وجه الخصوص.

وقد حاولنا تجاوز هاته الصعوبات بفضل مساعدة الأستاذ المشرف، الذي لا يسعني إلا أن نتقدم إليه بالشكر الموصول على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات كان لها عظيم الأثر في إخراج هذا العمل للنور، فله جزيل الشكر والثناء، ولكل من ساعدنا في انجاز هذا العمل.

المبحث الأول: رحلة الإمام المغيلي للسودان الغربي:

بعد أن استتب الأمر للمغيلي في توات بعد طرده لليهود وتشتيت شملهم، ترك على رأس زاويته وإمارته بناحية بوعلي ابنه عبد الجبار، ليهاجر إلى بلاد السودان الغربي حتى يكمل ما كان يصبوا إليه من نشر الدعوة إلى الله والإصلاح، فغادر توات قاصدا بلاد السودان معلما ومرشدا ومصلحا وداعيا إلى الله، وهو ما يدعونا للتعرف حول أوضاع السودان الغربي بهذه الفترة في المطلب الأول، وإلى طرق سير المغيلي بالسودان الغربي منذ خروجه من توات حتى رجوعه إليها في المطلب الثاني.

المطلب الأول: أوضاع السودان الغربي:

يعد العرب أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، فسموا بلادهم بالسودان نسبة للون بشرتهم السوداء، وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام رئيسة، وهي: السودان الغربي الّذي يشمل الآن حوض السنغال وبوركينافسو وغينيا والنّيجر الأوسط، والسّودان الأوسط الّذي يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، والسّودان الشّرقي الّذي يشمل مناطق النّيل وجنوب بلاد النّوبة[1]، وبذلك فإنّ لفظ السّودان ينطبق بصفة عامة على المنطقة الممتدّة من البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً[2]، حيث تقتصر دراستنا على قسم السّودان الغربي، دون غيره من مناطق السّودان الأخرى.

لقد عرف إقليم السّودان الغربي انتشارا واسع للدِّين الإسلامي في القرن التّاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، حيث كان فقهائُهم على المذهب المالكي نتيجة لتنقل العديد من علماء المغرب الإسلامي باتجاه الصحراء، كما عرفت هذه الفترة تواجد عدة إمارات وممالك في بلاد السُّودان الغربي، ومن أبرزها نجد إمارات بلاد الهُوسا ومملكة سنغاي.

تشمل **بلاد الهوسا** حاليّاً شمال نيجيريا وجزءاً من جمهورية النّيجر، حيث كانت تقع في القرون الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي وسنغاي غرباً

1- عبد القادر زبايديّة: **الحضارة العربيّة والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء** -دراسات ونصوص- الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1985م، ص 11.

2- عبد الفتّاح الغنيمي: **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، القاهرة، مكتبة نهضة الشّرق، ص 62.

وسلطنة البرنو شرقاً، بينما يحدُّها من الشَّمال إقليم أهير[1] والصّحراء الكبرى، ومن الجنوب ما يُعرفُ حاليا بجنوب نيجيريا، وقد تواجدت في هذه الفترة ببلاد الهوسا عدة إمارات عرفت تاريخيا بإمارات الهوسا[2].

ويُطلقُ إسم أو مصطلح الهوسا على الّذين يتكلّمون بلغة الهوسا، فليس هناك جنس يتسمّى بهذا الاسم، إذ لا ينحدر الهوسيين من أصلٍ واحد، بل جاء أغلبهم نتيجة امتزاج بين جماعات عرقيّة كثيرة، أهمها: السَّودانيون أهل البلاد الأصليين، وبعض قبائل البربر من الثّوارق[3]، وكانت هذه الإمارات حديثة عهد بالإسلام، حيث كانت شعوبها وثنيّة، وترجع بداية الإسلام في المنطقة إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وذلك في عهد الحاكم ماجي (787-791هـ)[4]عن طريق وصول بعض الدعاة والتجار المسلمين للمنطقة، ولكون أهلها حديثي عهد بالإسلام ربما كان الدافع الرئيسي لوصول الإمام المغيلي إليها.

وبدخول المغيلي للمنطقة كان أغلب سكانها لازالوا على الشرك، ولم تتح لهم الفرصة للتعرف على الدين الجديد، بل أولئك الذين اعتنقوا الإسلام لا يزالوا على جهل كبير بالكثير من الأحكام التي يلزمهم معرفتها للالتزام بها، وبذلك وجد المغيلي مجالا ملائما لتجسيد أفكاره الإصلاحية والدعوة إليها، فالفطرة لدى أهل هذه المنطقة لا تزال سليمة لم يعكر صفاؤها بعد، على عكس ما كان سائدا عند أهل المغرب[5]، وساعده في ذلك تقبل الأمراء لدعوته، والمساهمة في إنجاحها.

1- إقليم أهير: يعد موقع إستراتيجي في الصّحراء لكونه ملتقى شبكة من طرق القوافل التجارية، يمتدّ بين سكوتو وإقليم النّيجر جنوباً، وتوات وغات وغدامس من الشمال والشرق، والسّكان هذا الإقليم من الثوارق والسُّود. إسماعيل العربي: **الصّحراء الكبرى وشواطئها**، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م، ص 192.

2- تشمل إمارات الهوسا: كانو، دورة، رانو، زكزك، كشنة (كاتسيا)، زنفرة، غوبر. آدم عبد الله الألوري: **موجز تاريخ نيجيريا**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965م، ص 126.

3- إسماعيل العربي: المرجع نفسه، ص 174.

4- زاهر رياض: **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى**، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1968م، ص287.

5- بوغرارة منيرة: المرجع السابق، ص 100.

وقد عُرف شعب الهوسا بممارسة الزّراعة والتِّجارة، بالإضافة إلى مهارتهم في صناعة النّسيج والصّباغة ودبغ الجلود، وكانت معظم معاملاتِهم التّجاريّة تتمُّ مع تجّار بلاد المغرب الإسلامي من العرب والبربر بالشّمال، الّذين كانوا يفدون إلى كبريات مدنهم كما عرفوا بمسالمتهم واشتغالهم فقط بالنّشاط الاقتصادي، الشيء الّذي جعل بلادهم تحت أطماع الممالك والسّلطنات المجاورة[1]، ولعل ما سهل ذلك أيضا هو تشتت إمارات بلاد الهوسا دون توحدها تحت سلطنة واحدة.

استفادت إمارات الهوسا كثيراً من مملكة مالي الّتي كانت تسعى إلى إرسال العلماء والفقهاء إليها من أجل فرض تقارب روحي بينهما، وفي نفس الوقت فإن بلاد الهوسا عانت من الظُّروف السيّاسيّة العصيبة الّتي كانت سائدة في السودان الغربي حيث كانت أرضاً ومسرحاً للصِّراع الدّائر في تلك الأنحاء بين القوى العظمى كالسّنغاي وبرنو من أجل إخضاعها[2]، وذلك في إطار توسيع النطاق الجغرافي بضم أقاليم أخرى تحت نفوذ الدولة.

ولقد عرف القرن التّاسع الهجري حركة إصلاحية كبيرة قام بها أحد أمراء بلاد الهوسا، وهو أمير كانو، الذي يدعى بعبد الله محمّد بن يعقوب الشّهير بمُحمّد رنفا، فقد باشر القيام بعدة أعمال كبناء القصور، والحصون، والأسوار، وبناء المساجد وصيانتها وغيرها من الإنجازات التي حققها، كما كان رجلاً متديناً ملتزماً بأحكام الشّريعة الإسلاميّة، حاول إقامة إمارة على أسس الدين الإسلامي في بلاد الهوسا، حيث كان على اتصال كبير ودائم بالعلماء[3]، ومن أبرزهم نجد الإمام المغيلي، الذي بذل ما في وسعه من أجل بعث حركة علمية وإصلاحية في المنطقة.

أما بالنسبة **لمملكة سنغاي** فقد تأسست وتوسعت على حساب دولة مالي، حيث تولّت دولة سنغاي زعامة المنطقة سياسيّاً وحضارياً خلال عهد الأسقيين الّذين وصلوا

1- إسماعيل العربي: المرجع السّابق، ص 324.

2- عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السّابق، ص 151.

3- آدم عبد الله الألوري: المرجع السّابق، ص 82.

بالمملكة إلى حدٍّ بعيد من القوّة والعظمة لم تشهد لها البلاد مثيلاً من قبل[1]، وقد اشتقت تسمية هذه الدّولة من إسم القبيلة الّتي تنتسب إليها والمؤسّسة لها وهي قبيلة سنغاي، أمّا عاصمتها فهي مدينة غاو بعد أن استطاعت التّحرُّر نهائيا من سلطنة مالي في عهد سني علي (866-895هـ)[2].

يُعدُّ سني علي المُؤسس الحقيقي لمملكة السّنغاي[3]، حيث كُوّن جيشاً كبيراً سار به إلى الغرب، واستولى على مدينة تنبكتو سنة 870هـ وغيرها من المُدن، وتقدّم شرقاً فهاجم بعض إمارات الهوسا وأخضع بعضها، كما استطاع إخضاع ما تبقى من دولة مالي واتجه شمالاً حتّى مواطن الثّوارق[4]، وبذلك كرّس سني علي جهده في العمل الحربي التّوسعي لصالِح دولة سنغاي.

لقد عرفت مملكة سنغاي أزهى عصورها عهد الأمير الأسقيا محمّد الكبير الّذي تولى الحكم ابتداء من سنة 895هـ/1493م؛ حيث أسّس أسرة حاكمة جديدة تُعرف باسم الأسقيا بعدما أنهى حكم أسرة آل سني بثورة قام بها عليهم عقب وفاة سني علي مباشرة[5] حيث كان ضابطاً عسكرياً في جيشه، وبذلك وضع الأسقيا محمّد الكبير أحد قوّاد الجيش حدّاً نهائياً لحكم أسرة آل سنِّي، لتبدأ أسرة جديدة هي أُسرة الأسقيين.

وأوّل ما بدأ به الأسقيا محمّد الكبير، هو تنظيم الدُّولة تنظيماً دقيقاً في المجال السياسي والإداري والعسكري، حيث عرفت فترة حكمه العديد من الإصلاحات اتخذت مظهراً إسلاميّاً واضحاً نتيجة لعدة عوامل، كاهتمامه الكبير بالشؤون الدِّينيّة من خِلال مراعاته لأراء العُلماء، وعلى رأسِهم الإمام المغيلي في تدبير وتسيير شُؤونِ دُولتِه وحرصه على مصالح الرعيّة[6]، وكذا قيّامه بالحجّ إلى بيت الله الحرام سنة

1- عبد القادر زبايدية : **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين** (1493 - 1591م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 31.

2- بوغرارة منيرة: المرجع السابق، ص 10.

3- أوّل أسرة حكمت سنغاي هي عائلة ضياء الّتي يظن أنّها ذات أصلٍ بربري. عبد الرحمان السّعدي: المصدر السابق، ص 4.

4- عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السّابق، ص 111.

5- عبد القادر زبايدية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص 28.

6- المرجع نفسه، ص 33.

900هـ/1495م، ولقائه بكبار العلماء في مصر والحجاز، ونفقاته الخاصّة على طلبة العلم والحجّاج من السُّودانيين هناك، وجهاده الكبير الّذي قام به بغرض توسيع رقعة بلاده، ونشر الإسلام بين الوثنيّين من جِيرانِه[1]. وقد وصف جهده الإصلاحي عبد الرحمان السّعدي قائلاً:" ففرّج الله تعالى به عن المُسلمين الكروب وأزال عنهم البلاء والخطوب، واجتهد بإقامة ملّة الإسلام، وإصلاح أمُور الأنام وصاحب العلماء، واستفتاهم فيما يلزمه في أمر الحلِّ والعقد "[2]، وبذلك استحق أن يكون أعظم حُكّام سنغاي من الأسقيين.

وتعد الأجوبة التي تضمنها كتاب "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" ذات قِيمة تاريخيّة هامّة لما كانت عليه أوضاع بلاد السُّودان الغربي عامّةً، وبلاد السّنغاي خاصة ونمثل لذلك بما تضمنته المسألة السّابعة من جملة المسائل الّتي تطرّق إليها الأسقيا محمّد للاستفسار عنها، وهي تلك الضّلالات والمناكِر الّتي استفحلت في شعوبِ هذه البلاد، كانتشار الشّعوذة والسّحر بزعم بعضهم أنّه يعلم شيئاً من الغيب، أو يكتب لجلبِ الرِّزق، وانتشار التّطفيف في المكاييل والموازين بالزِّيادة والنُّقصان، وغشِّ الذّهب بالفضّة والنُّحاس، وكذا اختلاط النِّساء بالرّجال في الأسواق والطُّرقات، وظاهرة العُري ...[3]، وغيرها من المناكر الّتي عرفتها تلك المجتمعات.

ويذكر ابن بطُّوطة الّذي زار بلاد السُّودان الغربي في أواسط القرن الثّامن الهجري، ممّا عاينه من أخلاق سُكان تلك البلاد فيقول:" هم أبعد النّاس عن الظُّلم وسُلطانهم لا يُسامح أحداً في شيء منه، ومنها شُمول الأمن في بلادهم، فلا يخافُ المُسافر فِيها، ولا المُقيم من سارق أو غاصب "[4]، وعليه يتضح أنه بالرغم من شيوع بعض المنكرات إلا أن الأمن كان سائدا ببلاد السودان الغربي.

1- أبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السّابق، ص 88 .

2- عبد الرحمان السّعدي: المصدر السابق، ص 6.

3- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص ص 106-107.

4- ابن بطّوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح محمد عبد الــرحيم، ط1، بيــروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ج 02، ص 376.

المطلب الثاني: تنقل المغيلي للسودان الغربي:

سافر الإمام المغيلي للسودان الغربي بعد أن استتب له الأمر في توات بالقضاء على اليهود، حتى يساهم بدوره في الدعوة إلى الله والإصلاح بهذه البلاد، حيث كانت شهرته سبقته إليها كعالم من علماء زمانه اللامعين، فغادر توات متجها نحو بلاد السودان، فكانت أول ارض نزل بها هي بلاد "أصير" أو "أهير"، حيث نزل ببلدة "تكدة" التي مثلت نقطة الوصول الأول للمغيلي القادم من توات، وبذلك يمكننا تصوّر الطّريق الّذي سلكه، وهو المار من جنوب عين صالح ثمّ يتّجه نحو الجنوب الشرقي ليصل إلى أرض "تكدة"[1].

قام الشّيخ في تكدة بتعليم أهلها وإصلاح أمورهم وفق منهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما اتصل بحاكمها ناصحاً ومرشداً وموجها، وقد أشار إلى هذا الجهد أحمد بابا حين قال:" ثمّ دخل بلاد أهر ودخل بلاد تكدة، واجتمع بصاحبها وأقرأ أهلها وانتفعوا به"[2]، وبعد تكدة رحل الشّيخ إلى"أكدز" من بلاد "كانم"، فأقام بها وعلّم وأصلح، واتصل بحاكمها مسدياً له النّصيحة على عادته، ومكث بها مدّة تقارب السّنة أنشأ خلالها مسجده المشهور، والمعروف بمسجد "الكرامة"[3]، حيث أخذ يدرس أهالي المنطقة، ومن الذين حضروا دروسه الفقيه محمد بن احمد بن أبي محمد التازختي المعروف بأيد ابن احمد، والعاقب الانصمني.

انتقل المغيلي بعد "أكدز" إلى بلاد الهوسا مواصلاً هناك جهده الإصلاحي الدّعوي، وعن ذلك يتحدّث أحمد بابا فيقول:"... ثمّ دخل بلاد كانو وكشنة –كاتسينا– من بلاد السّودان واجتمع بصاحب كانو، واستفاد عليه في أمور السّلطنة، وحضّه على اتباع الشّرع، وأمر بالمعروف ونهى عن لمنكر، وقرّر لهم أحكام الشّرع وقواعده "[4]، ويظهر من خلال هذه الفقرة بأن المغيلي لم يتنقل بين جميع إمارات الهوسا، بل اقتصر

1- بوغرارة منيرة: المرجع السابق، ص82.

2- أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المصدر السابق، ج2، ص234.

3- بوغرارة منيرة: المرجع نفسه، ص83.

4- أحمد بابا التنبكتي: المصدر نفسه، ج2، ص234.

دخوله على إمارتين منها، وهما "كانو" و"كشنة"، كما يبدوا أنه لم يلتقي بأمير كشنة، بل اجتمع فقط بأمير "كانو" المعروف بمحمد يعقوب، وكتب له رسالة سماها " تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" أرشده فيها إلى التزام الجادة الإسلامية في حكمه[1].

لقد قام الشيخ بجهود كبيرة في الدّعوة والإصلاح، وإنّه استغرق مدّة لا بأس بها في تحقيق ذلك، فمتى أدى الغرض الذي انتقل من أجله لمنطقة حتى نجده ينتقل لغيرها من أجل القيام بنفس الدور، وهاهو ينتقل مرة أخرى من "كانو" إلى منطقة أخرى، وهي بلاد التكرور حيث دولة سنغاي التي عرفت في هذه الأثناء أزهى فترات حكمها على عهد الأسقيا محمد الكبير، الذي عرف باحترامه الشديد للعلم والعلماء، واستشارتهم في كيفية تسيير شؤون الحكم، وبذلك تمثل هذه الظروف الجو الأنسب لاحتضان أعمال الشيخ المغيلي، وتوفير أكبر قدر ممكن من النجاح[2].

إلتقى الإمام المغيلي بحاكم دولة سنغاي الأسقيا محمد الكبير بـــ"غاو" عاصمة الدولة، وتحادثا في أمور السياسة والحكم، فوجه إليه الحاكم أسئلة عديدة تتعلق بمختلف القضايا السياسية، والاجتماعية، والدينية، وغيرها مما يهم أهل هذه البلاد، فأجابه المغيلي برسالة قيمة أجابه فيها عن المسائل التي أثارها، وقد أشار إلى ذلك ابن مريم حيث قال:"... ثم ارتحل إلى بلاد التكرور، فوصل إلى بلدة كاغوا، واجتمع بسلطانها الأسقيا محمد، وجرى على طريقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل"[3].

وبعد مدينة غاو انتقل الإمام المغيلي إلى تمبكتو حيث التقى بسيدي عمر الكنتي العقباوي **يدرس تلامذته،** فتناظرا في العلوم الشرعية، فوجد المغيلي الشيخ الكنتي متمكنا فيها، ثم اختبره في علوم الحقيقة فلم يجده متمكنا فيها، فطلب الشيخ سيد عمر الكنتي الصحبة من الإمام المغيلي فوافقه عليها، ونظراً لتوطد الصلة بينهما في هذه المدة فقد توجها معاً إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وفي طريقهما مرا على الإمام السيوطي بأسيوط فدخلا عليه فأكرمهما، ودار الحديث بينهما في علم الحديث،

1- عبد القادر زبايدية: الحضارة العربيّة والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربيّة، المرجع السابق، ص17.

2- بوغرارة منيرة: المرجع السابق، ص84.

3- ابن مريم: المصدر السابق، ص255.

حيث وقعت بينهما قبل ذلك مراسلة في علم المنطق، ثم صاحبهما الشيخ جلال الدين السيوطي إلى الحج، وعند وصولهما للبقاع المقدسة، وعند مشارف المدينة المنورة هاجت عواطف الإمام المغيلي، وجادت قريحته بارتجال قصيدته الميمية التي يقول فيها[1]:

بشراك يا قلبي هذا سيد الأمـــــم وهذه حضرة المختار في الحرم...

ياسيدي يارسول الله خذ بيدي فالعبد الضعيف وضيف الله لم يضم

ياسيدي يارسول الله خذ بيدي يا من لـــــقاصده أمنن من النقـــــــــــم

ياسيدي يارسول الله خذ بيدي فبحـــــــر جودك مـــــــورد لكل ضـــــــــــــم

إلى إن يقول :

محمد المصطفى والآل ثم على أصحابه ما سرى ركب لربعهم

وبعد أن أتما فريضة الحج رجعا إلى السودان بعد أن تركا جلال الدين السيوطي ببلاده أسيوط، ولما وصل الإمام المغيلي إلى مملكة سنغاي بأرض التكرور لم يمكث بها إلا قليلا حتى بلغه نبأ مقتل ابنه عبد الجبار على يد اليهود بإعانة من التواتيين الذين ساعدوهم على قتله، فانزعج اشد الإنزعاج لذلك الخبر المؤلم، وحز في نفسه جرحا عميقا، مما جعله يطلب من السلطان الأسقيا القبض على جميع التواتيين القاطنين بغاو العاصمة، لأنه رأى بأن أهل توات أعانوا اليهود على قتل أبنه[2]، فلبى له ذلك إلا أن الفقيه محمود بن عمر أقيت المشهور بأبي المحاسن أنكر على المغيلي فعله، ونبهه بأن التواتيين القاطنين بسنغاي أبرياء لا ذنب لهم، فرجع المغيلي عن رأيه، وطلب من الأسقيا أن يطلق سراحهم فامتثل لرغبته، مما يدل مكانة الإمام المغيلي عند هذا الحاكم، ولم يسع المغيلي بعد ذلك إلا العودة إلى أرض توات[3]،

1- أمحمد الكنتي: المرجع السابق، ص14.

2- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج2، ص266.

3- أبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السّابق، ص177، ومحمد سالم: المرجع السابق، ص09.

والتجهيز لحرب ثانية ضد اليهود، ومحاولة إصلاح ما أفسدوه بعد غيابه وبذلك تعد بلاد التكرور آخر أيام المغيلي في بلاد السودان الغربي قبل رجوعه إلى توات.

لم يوفق المغيلي في حربه الثانية ضد اليهود إلا أن عطاءه في خدمة الإسلام والمسلمين لم يتوقف، حيث أواه البرامكة ببوعلي، فباشر وظيفته معلما، ومدرسا ومؤلفا حتى وافته المنية ببوعلي عام 909ه/1504م، وهكذا مات الإمام المغيلي بعد أن نفخ في النفير على طريقته الجريئة، لينبه المسلمين على ما آلت إليه أوضاعهم من ضعف وانحراف، لينذرهم بالمخاطر المحدقة بهم، والتي كانت تهدد كامل منطقة المغرب العربي فلم يمر وقت طويل على وفاته حتى احتل الأسبان جزء كبير من سواحل المنطقة بعد أن سقطت بأيديهم الحضارة الإسلامية بالأندلس، وشاءت الأقدار أن تدخل الجيوش الأسبانية مدينة وهران من باب المرسى دون عناء، بفضل خيانة اليهودي "أشتور" الذي كان مكلف بحراسة الثغر، بحيث فتح الباب للجيش الاسباني سنة 1509م، إذ بمجرد أن فتح باب المرسى للعدو، حتى تدفقت جنوده بخيلها ورجالها فذبح الأسبان آنذاك نحو ثمانية الآلف من الأطفال والعجزة، الذين لم يتمكنوا من الفرار من المجازر الرهيبة[1].

لقد كان اليهودي "أشتور" يشغل منصبا ساميا في الجهاز المالي لدولة بني زيان كمسئول كبير عن المكوس، قبل أن يدير ظهره للجزائريين ويخدعهم، فيورط ألاف المسلمين في عمالته للأسبان، فكانت خيانته نتيجة منطقية للتهاون والتساهل، اللذين أصابا المسلمين، وتأكيدا مبررا لمخاوف الإمام المغيلي، فبمجرد سقوط المدينة ولأجل احتفاظ اليهود بامتيازاتهم التجارية، تحول كبار تجارهم إلى مرشدين للجيوش الاسبانية واستمر ذلك طوال القرن السادس عشر الميلادي[2]، فالمغيلي لم يكن ينقم على المسلمين في وقته تساهلهم مع اليهود لذاته، بل لعدم أخذهم بقواعد الحيطة والحذر، مما ينجر عنه من عواقب وخيمة، ومفاسد عظيمة يصعب تداركها.

للإطلاع على تنقلات الإمام المغيلي سواء المتعلقة برحلته العلمية في بلاد المغرب أو المتعلقة برحلته الإصلاحية بغرب إفريقيا ورحلته إلى الحجاز تنظر الخريطة التوضيحية في **الملحق رقم 10**.

1- فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص65.

2- المرجع نفسه، ص ص 65-66.

المبحث الثاني: الجهود الإصلاحية للإمام المغيلي بالسودان الغربي وتأثيرها.

لقد كانت الغاية من رحلات الإمام المغيلي هو إصلاح أحوال المسلمين وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ولما كان وجود الأمير الصالح يعد من العوامل المسهلة في تحقيق مشروعه الإصلاحي، فقد عمل ما في وسعه من التعاون مع الأمراء في وقته من أجل ذلك[1]، حيث هاجر إلى بلاد السودان بعد أن سبر غور طبائع الأمراء والسلاطين هناك، فوجد فطرهم اسلم واستجابتهم أكبر عندما يتعلق الأمر بتطبيق تعاليم الدين الإسلامي مقارنة بأمراء المغرب، وأن استعدادهم لتقبل الدعوة والإصلاح أقوى من استعداد أمراء بلاده، فتوجه إليهم لنشر مبادئه وأفكاره الإصلاحية، وممارسة الفتوى بما يتماشى مع منهج الإسلام الصحيح، وتصوره لنظام الدولة الإسلامية، وعليه فإننا سنتعرض في المطلب الأول لدعوته الإصلاحية بإمارات الهوسا، بينما نتعرض في المطلب الثاني لدعوته الإصلاحية بمملكة سنغاي.

المطلب الأول: دعوته الإصلاحية بإمارات الهوسا.

بعد نجاح ثورة المغيلي الأولى على اليهود بتوات، لم يتوجه مباشرة لبلاد الهوسا بل دخلها بعد مروره ببلدة "تكدة" و "أكدز" ثم إلى كانو أحد أهم إمارات الهوسا، إذ وصلها والتقى بحاكمها محمد بن يعقوب رنفا الذي كان يتربع على عرش كانوا في الفترة الزمنية (904/867هـ - 1499/1463م)[2]، حيث أشتهر هناك المغيلي كعالم مصلح، ومقاوم للبدع والخرافات، إذ حمدت سيرته هناك فقربه سلطانها محمد بن يعقوب رونفا، الذي كان يتربع على عرش إمارة كانوا، حيث كان متعلقا بالمغيلي منذ دخوله لإمارته، فحضر حلقاته العلمية، كما بين له الإمام المغيلي الطريقة الصحيحة في الحكم، ووضع له القواعد التي يجب السير عليها حيث فصل له كثير من الأحكام السلطانية.

ويتضح ذلك من خلال ما وضعه المغيلي لأمير كانو، حيث ألف له "رسالة مختصرة في ما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام"، كما وجه له رسالة أخرى

1- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري** (16-20م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص47.

2- أبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السابق، ص119.

في شؤون الإمارة والحكم والسياسة الشرعية سماها "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"، وبذلك استفاد حاكم كانو من المغيلي كثيرا في إرساء قواعد دولة إسلامية فتية، فاتخذه كمستشار له يرجع إليه في كل الأمور التي تواجهها مملكته، كما ولاه القضاء، والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده، فأثنى عليه الناس ولقبوه بالإمام[1].

وقد كتب المغيلي الرسالتين السابقتين بناء على طلب السلطان، وكما يظهر فقد تناول موضوع الرسالة الأولى الحسبة، التي تعد من وظائف القضاء، تتعلق وظيفتها بالأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، والشروط الواجب مراعاتها في هذه المسألة. أما الرسالة الثانية فهي تتناول مواضيع مختلفة، تتصل كلها بكيفية تنظيم شؤون الدولة وسياسة الرعية وفق الشرع الإسلامي[2]، وبذلك يتضح بأن قيام المغيلي بالتأليف، وتوليه لمناصب رسمية في الدولة كاتخاذه مستشارا، حيث يتطلب الأمر معرفة واسعة بالأوضاع السياسية للمنطقة، ومنصب القضاء والإفتاء، حيث يتطلب الفصل في الخصومات معرفة دقيقة بالأوضاع الاجتماعية للمنطقة، وهو ما يدل على أن المدة التي قضاها بهذه البلاد ليست قصيرة، خصوصا وأن العمل الإصلاحي يحتاج إلى جهد كبير، وصبر طويل، وعمل دائم متواصل.

ومن التوجيهات التي تضمنتها رسالة "جملة مختصرة في ما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام"، أنه أشار على أمير كانوا بأن يمنع أهل بلاده من جميع مظاهر الشرك، وكشف العورة، وشرب الخمر، وأكل الميتة والدم...[3]، حيث انصب اهتمام المغيلي على إصلاح العقيدة أولا، فلا معبود بحق إلا الله، ولا شريك له في ذاته أو صفاته، ومحاربة البدع والخرافات التي تبدوا فيها مظاهر الشرك، فإذا تم له ذلك انتقل لتغيير المنكرات الأخرى وفق ضوابط الحسبة وقواعدها، فلا يتم الاحتساب باليد إلا بعد التعريف باللسان، ولا يتم تغيير المنكر إذا أدى لما هو أكبر منه.

1- أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص121.

2- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج02، ص265، وبوغرارة منيرة: المرجع السابق، ص ص 102-103.

3- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص142.

أما الرسالة الثانية الموسومة بعنوان "تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" فقد تعرضت لأمور عديدة هامة في شؤون الإمارة ومسائل الحكم، إذ بينت المفاهيم الإسلامية الأساسية التي يجب أن يلتزم بها الحاكم في سياسة رعيته، بل تناولت كل ما يتعلق بالأمير من أمور، ومسائل يجب عليه مراعاتها في تدبير إمارته، ومن بين أهم المسائل التي تناولتها الرسالة نجد[1]:

1- إحسان النية للإمارة: الواجب على من تولى شيئا من أمور المسلمين إخلاص النية بالاستعانة بالله والتوكل عليه، ويتم القيم بهذه المسؤولية بحمل كافة المسلمين على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدينية والدنيوية.

2- إحسان الهيئة: على الأمير أن يتردى برداء الهيبة، والمحافظة على سكونه، والالتزام بالصدق والوفاء بالعهد، والميل للعفو والصفح مما يجعله كبيرا في نظر الخلق كما عليه أن يحسن ثوبه، ويقتصد في طعامه دون مبالغة أو إسراف.

3- ترتيب المملكة: يحتاج الأمير إلى عدد من الناس اشتهروا بعزائمهم القوية، وإلى مجموعة من الحكماء لاستشارتهم وقت الحاجة، دون أن ينسى المغيلي أهمية اتخاذ الكتاب، والقضاة، والوزراء، وقادة الجيش، والاهتمام بشؤون الجند، وتنظيم الدواوين وتعيين أمناء على بيت المال، وفرض الرقابة على الموظفين والرعية على السواء عن طريق عمال الشرطة ورجال الحسبة.

4- العدل في الأحكام السلطانية: يجب على الأمير العدل في الأحكام بمعاملة جميع أفراد الرعية سواء بسواء، ولا يكتفي في هذا المجال بما نصبه من القضاة والعمال، لأن شكوى الرعية غالبا منهم مما يتطلب من الأمير الجلوس للنظر في مظالم الرعية عندما يتعلق الأمر بتعدي وتعسف موظفي السلطان، لأن رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعــية.

ويتبين من خلال هذه العناصر بأن الإمام المغيلي على معرفة دقيقة بأوضاع زمانه عموما، وأحوال بلاد السودان الغربي خصوصا، كما يظهر من خلال الرسالة أنه على اطلاع واسع بأحكام الفقه الإسلامي في السياسة الشرعية، وهو ما يميزه عن

1- لمزيد من تفاصيل ما ورد في هذه الرسالة ينظر أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص ص 122-132.

أغلب علماء زمانه في هذه الفترة خصوصا، حيث زهد الكثير من العلماء عن التبحر في هذا الباب من الفقه الإسلامي، نظرا للانتشار الواسع للطرق الصوفية في هذه الفترة من جهة ولتفادي الدخول في مواجهات مباشرة مع الحكام من ناحية أخرى.

لقد كان المغيلي رحمه الله من أوائل العلماء المسلمين المغاربة الذين دخلوا هذا الإقليم برسم الدعوة الإسلامية وإصلاح المعتقدات، واشتهر في كتابات العديد من المؤرخين لهذه المنطقة "بفقيه توات"، تمييزا له عن الفقهاء المحليين ذوي الأصول السودانية، وغيره من الفقهاء الرحالة، فقد كانت إمارات بلاد الهوسا كما هو الحال مع إمارة كانو، تجد عناء ومشقة في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية الواقعة إلى الجنوب منها[1]، فكان من الضروري إيجاد وسيلة بديلة عن قوة السلاح في إدخالهم الإسلام، حيث كانت تقوى هذه الإمارات بانضمام مجموعات القبائل التي أعلنت إسلامها إليها، فكان هذا هو الدور الذي يتعين على الدعاة والعلماء القيام به في أوساط الوثنيين[2]عن طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإبراز مزايا الإسلام في تميزه عن الديانات الأخرى.

إن الموقف الذي اتخذه المغيلي من سلطان كانو وغيره من السلاطين هو موقف العالم الناقد، والناصح المرشد، والمصلح المخلص، وليس موقف الطامع في مال أو منصب أو جاه، ويتأكد صدق ذلك دون عناء، فسرعان ما يحقق هدفه الإصلاحي في ناحية أو إقليم معين حتى نجده ينتقل للذي يليه من أجل القيام بنفس الغرض دون كلل أو ملل، وهو ما يتعذر تحققه إلا في العلماء الربانيين، الذين نذروا أنفسهم لخدمة هذا الدين فلو كان غرضه السلطان، وتحقيق طمعه في المال والمنصب والجاه، لتيسر له ذلك بمجرد تقربه من أول أمير، وهو ما يستبعده كل من له أدنى اطلاع بتسلسل الأحداث التي عرفتها حياة المغيلي سواء في السودان الغربي أو قبلها.

ومن مدينة "كانو" انتقل المغيلي إلى مدينة "كشنة"، فجرى على عادته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تعد هذه المدينة عاصمة إمارة كشنا إحدى إمارات

1- حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998م، ص 198.

2- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 141.

الهوسا، وكما نجح في كانو بإنجاز مقترحاته الإصلاحية التي نفذها السلطان، فقد أثمرت هذه المرة جهوده مع حاكم مدينة كشنة ماجي إبراهيم، الذي فرض على أهل البلاد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية[1]، إلا أن ما يميز دعوته في إمارة كانو عن دعوته في إمارة كشنا هو الرسائل التي كتبها لمحمد بن يعقوب رنفا، حيث ساهمت في التأريخ لإمارة كانو مقارنة بإمارة كشنا مما دفع المؤرخين للتعرض للمغيلي أثناء إقامته بكانو، ومقابلته لسلطانها، والوظائف التي تقلدها، والمنكرات التي غيرها أكثر من تعرضهم لأعماله عند دخوله لمدينة كشنا، وهو ما قد يفسر طول المدة التي قد قضاها في أمارة كانو.

المطلب الثاني: دعوته الإصلاحية بمملكة سنغاي.

لقد استفاد حاكم كانو محمد بن يعقوب رنفا كثيرا من المغيلي حين اتخذه مستشاراً له، وولاه القضاء والإفتاء بكانو في الفترة التي قضاها ببلاده، وبعد أن نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، والعمل على تثبيتها في نفوس الأهالي، وتوجيه الحاكم للعمل بها غادر كانو إلى كشنا، ومنها إلى مملكة سنغاي الإسلامية ببلاد التكرور، فوصل عاصمتها غاو سنة 1498م، والتقى بحاكمها الأسقيا الحاج محمد الكبير، فجرى على عادته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[2]، وحظي عنده بحفاوة بالغة تعظيما لعلمه وفضله.

ولما اطمأن الأسقيا الحاج محمد من جهة المغيلي جعله مستشاره الخاص ومرجعه الفقهي الأعلى في المسائل الفقهية، حيث عرض عليه في الفترة التي قضاها ببلاده سبعة مسائل أثار فيها المشاكل الاجتماعية، والسياسية، والدينية، التي كانت تواجه إمبراطوريته فأجابه الإمام المغيلي بأجوبة هامة في رسالة أوضح له فيها الفتاوى الإسلامية وحكم الله ورسوله في الموضوعات التي شغلت فكر الأسقيا لوقت طويل، حيث أبان فيها عن نظريته في الخلافة والإمامة كما أشار فيها إلى العلماء المزيفين، الذين يدعون أكثر مما يعرفون، ويحاولون تبوأ منزلة العلماء الأكفاء عن

1- المرجع نفسه، ص 142.

2- التنبكتي: نيل الابتهاج، المصدر السابق، ج02، ص 266، وأبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السابق، ص 142.

طريق التضليل ووسائل الخداع المختلفة، وأنه يجب على السلطان أن يتصدى لهم، ويضرب على أيديهم بشدة...، فكانت هذه الأجوبة عبارة عن فتاوى أصدرها الشيخ للأمير ليعمل بها في تدبير أمور مملكته، وهي بمثابة قانون شرعي يحتوي على أهم المسائل التي تمس حياة الدولة، والأفراد كالأحوال الشخصية ونظام المعاملات[1]، واشتهر هذا التأليف باسم "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، حيث تناول المغيلي بالتوضيح والتفصيل مختلف المواضيع السياسية والاجتماعية، والدينية، التي تتعلق بمملكة سنغاي من منظور إسلامي، وهو ما يفسر مدى إلمام المغيلي بأوضاع السودان الغربي، كما تعد هذه الرسالة ذات أهمية بالغة باعتبارها من الوثائق المصدرية في التأريخ لهذه الفترة.

إن هاته الأجوبة تكشف ما كان عليه الإمام المغيلي في دعوته الإصلاحية من الاهتمام الشديد بإصلاح أوضاع المسلمين عموما، وبلاد السودان الغربي خصوصا لما لاقته دعوته من الاستجابة هناك شعوبا وحكاما، كما تظهر أهميتها في كونها لا تقتصر على المواضيع التي حوتها الأسئلة من أحوال البلاد الداخلية فقط، بل يتعلق قسم منها بعلاقة سنغاي بالإمارات والقبائل المجاورة لها، ونظرة تلك القبائل والإمارات لمملكة سنغاي في ذلك الوقت[2].

وقد تعرض عبد القادر زبايدية لأهمية تلك الرسالة في تجسيد التقارب الأفرومغاربي، والذي يعد هو أول من حققها، حيث يقول:" وغني عن الذكر أن هذا المخطوط –أسئلة الحاج محمد أسقيا وأجوبة الإمام المغيلي– ينشر لأول مرة، وهو يجسد صورة لجانب التبادل الفكري والثقافي الواسعين بين المغاربة وجيرانهم السودانيين، وقد بدأ ذلك مع وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا، وظل يزداد اتساعا وتعمقا بتلك المنطقة، حتى أصبح السودان الغربي جزء هاما من البلاد الإسلامية الفسيحة، ولاشك أنه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي بلغ ازدهار

1– وفد دولة مالي: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، أعمال اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، المرجع السابق، ص 34.

2– أبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السابق، ص 136.

الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي مرحلة الأوج..."[1]، وبذلك فإن أهمية هذه الأجوبة تتمثل في إبراز الدور الذي قام به علماء شمال إفريقيا والمغرب من الإصلاح وخدمة الدين في السودان الغربي، وإرساء قواعد الحكم على أساس الشريعة الإسلامية، ولا سيما ما قام به الشيخ المغيلي من جهود مباركة في توجيه حكام السودان إلى أحكام الشريعة، وطبع المجتمع بالصبغة الإسلامية الصحـــــيحـــــة.

لقد وضع المغيلي للأسقيا أهم القواعد الأساسية التي يبني عليها أي أمير إصلاحاته، وهي تنقسم إلى قسمين: القسم الأول يخص القواعد التي تساعد على تمكين الدين وحفظه، وذلك بمحاربة الكفر والوثنيين وأهل البدع والضلالات كالمشعوذين والسحرة، والمتكلمين في الدين على غير علم، أما القسم الثاني فيخص الركائز التي يقوم بها أي أمير ملكه بترتيب مملكته، وقضاء مصالح الرعية، وعدم السكوت على الظلم والمنكرات، لتكون أحكام الشرع مطاعة، وقواعد الدين نافذة[2]، لأجل ذلك باشر الأسقيا الحاج محمد العديد من الإصلاحات بناء على توجيهات المغيلي، فشملت مختلف الشؤون العسكرية، والإدارية، والقضائية، والاجتماعية.

لقد ذاع صيت المغيلي كأحد المصلحين اللامعين في دنيا والدعوة والإصلاح وأصبحت كتبه مدرسة روحية تربى عليها العلماء والحكام والعامة، وظهر أثرها بارزا على الأمة في عهده، وعلى الأجيال التي أتت من بعده من المصلحين السودانيين، الذين تأثروا بآرائه ومنهجه في التغيير، ومن يجب جهاده قتالهم من الكفار والمرتدين، ومن يدعي الإسلام ويخلط بينه وبين عبادة الأوثان أو يعتقد فيها النفع والضرر، وقد أخذ بمنهجه الشيخ عثمان بن فوديو وأتباعه وخلفائه من بعده[3].

وهكذا كان لحركة المغيلي الإصلاحية ببلاد السودان الغربي صدى واسعا، وأثرا بعيدا على سائر إمارات تلك البلاد، حيث ساهم بقدر كبير في ترقية العلوم العربية والثقافية الإسلامية لسكان تلك البلاد، فقد جنت دعوته ثمارها عدة أجيال من سكان بلاد السودان الغربي منذ القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي حتى في

1- عبد القادر زبايدية: التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص 209.

2- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 144.

3- أبو بكر إسماعيل ميقا: المرجع السابق، ص 170 .

القرن 19م حيث أدى ذلك إلى تغيير ملموس في حياة الناس السياسية والاجتماعية بهذه المنطقة، وما يحيط بها على مدى عقود من الزمن، فاكتسب بذلك مكانة عظيمة في السودان.

ولعل أكبر شاهد على ذلك فترة جهاد السكوتو أتباع الشيخ عثمان بن فودي في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، حيث شهد هذا القرن حركة إصلاحية دينية وثقافية واجتماعية وسياسية كبرى، شملت منطقة واسعة من غرب أفريقيا جنوب الصحراء، وتُوجت في النهاية بإقامة دولة إسلامية على يد مؤسسها وزعيمها الروحي الشيخ الداعية المجدد عثمان بن محمد فودي الفلاني (1168-1232 هـ/ 1754- 1817 م)[1].

وهكذا فقد أثرت فتاوى المغيلي ببلاد السودان الغربي في العديد من العلماء والزعماء الأفارقة في حركاتهم الإصلاحية كحركة الفوديين بزعامة الشيخ عثمان بن فودي بن محمد بن عثمان بن صالح، الذي ولد في غوبر التابعة لمقاطعة غالمي في سنة 1168هـ/ 1754م، وكان معروفا بابن فودي، وتعني العالم والفقيه باللغة الفولانية، حفظ القرآن الكريم على والده، ثم درس العلوم على أيدي معلمين آخرين كالشيخ عثمان بن دوري ومحمد سنب، كما التحق بمدرسة الشيخ جبريل، الذي كان من كبار العلماء الثائرين على أوضاع عصره[2].

لقد تأثر ابن فودي بأفكار المغيلي تأثرا كبيرا في غيرته على الإسلام، والدفاع عنه باللسان والسنان، فاتبع أسلوب المغيلي في حركته الإصلاحية، حتى صار ينقل من كتبه كأنما ينقل عنه مشافهة، ولقد أورد قي كتابه "حصن الأفهام من جيوش الأوهام" بعض فتاوى المغيلي، حتى نسب نفسه إليه كالتلميذ الذي سمع أو اخذ عنه مباشرة مع ما بينهما من بُعد العهد، الذي لا يقل عن ثلاثة قرون، مما يدل على تأثره الشديد وتعلقه به، وقد بدأ الشيخ عثمان دعوته الإصلاحية وهو في العشرين من عمره، سالكا في

1- أدم عبد الله الألوري: الشيخ محمد بن عبد الكريم، أعمال اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، المرجع السابق، ص 26.

2- أدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 83.

دعوته أسلوب التدريس والوعظ الذي انتهجه الإمام المغيلي في رحلته للسودان الغربي، وبذلك كثر أتباعه لتدخل دعوته الإصلاحية في مرحلة التحرك نحو قصر السلطان[1].

ويعد الشيخ عثمان خطيبا بارعا يتحكم في نفوس سامعيه، حيث استطاع أن يكسب العديد من الأتباع، كما تمكن مع أتباعه من تأسيس جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوشي به بعضهم إلى ملك غوبر الذي لم يلبث أن أصدر أمره بنفي عثمان من بلاده، فأعلن وجوب الهجرة على جماعته فاندفع تيار عظيم يهاجر مع الشيخ إذ لم يجد بدا من منعهم وقطع طريقهم، فاضطر ابن فودي إلى تكوين جيش إسلامي لمقاومة عدوان هذا الملك، فلما هاله الأمر أسرع بالإرسال إلى حلفائه من ملوك الهوسا يستجدهم فاستجابوا له، فوقف الجميع في صف وابن فودي وأتباعه في صف أخر فقامت بين الطرفين معارك عنيفة انتصر في جميعها الشيخ عثمان، وبذلك أسس دولته وقسم البلاد إلى قسمين جعل الأقاليم الغربية لابنه محمد بلو، والأقاليم الشرقية لأخيه عبد الله، ورتب البلاد بين ثمانية نواب[2].

وإذا كان المغيلي قد ألف العديد من الكتب في مختلف العلوم كالفقه، والحديث والتفسير، والتوحيد، والوعظ، والمنطق، واللغة، والسياسة الشرعية، فإن أربعة من مؤلفاته على الخصوص نالت اهتمام ابن فودي، وهي تلك الرسائل الثلاث التي ألفها خلال إقامته في السودان الغربي بطلب من أمير كانو وسلطان سنغاي، ورسالته الرابعة التي ألفها في نازلة يهود توات[3]، وهو ما يدل على الاهتمام بالجانب السياسي كمنطلق لأي إصلاح أخر، تلك هي نظرة المغيلي التي اعتبرت التقرب من الحاكم ليس هدفا لذاته، بل يعد هدفا لغيره من أجل تسهيل العمل الإصلاحي.

ويظهر أثر حركة المغيلي الإصلاحية في زعماء السكوتو الفوديين، وعلى رأسهم الشيخ عثمان وابنه محمد وأخيه عبد الله عندما درسوا كتبه ومخطوطاته، وبالأخص تلك المتعلقة بالميدانين السياسي والاجتماعي من أجل إصلاح وتغيير

1- ياسين شبايبى: المرجع السابق، ص 146.

2- أدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، المرجع السابق، ص 160.

3- مقدم مبروك: الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، المرجع السابق، ص 276، وياسين شبايبى: المرجع السابق، ص 148.

الحالتين السياسية والاجتماعية لمجتمعهم، حيث كانت الدولة الإسلامية التي أقامها عثمان بن فودي (ت:1232هـ/1817م)[1]، والتي دامت قرنا كاملا إلى غاية مطلع القرن العشرين، تقوم أساسا على نشر الدعوة الإسلامية، ومقاومة الكفر والوثنية، وقمع البدع والخرافات.

وإذا عدنا إلى مؤلفات عثمان بن فودي فإننا لا نكاد نجد مؤلفاً من مؤلفات الشيخ عثمان يخلو من الإشارة للمغيلي والنقل عنه والرجوع إلى وصاياه وفتاواه ورسائله والاحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوته، وإسناد الأفكار التي تضمنتها حركته الجهادية والإصلاحية والدعوية، ولا سيما أن هذه الحركة قد واجهت كثيراً من الخصوم لا من العوام فقط، ولكن من بعض العلماء والأمراء أيضاً، فكانت فتاوى المغيلي وكتاباته بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار هي الحجة الدامغة من بين الحجج، التي اتكأ عليها ابن فودي وأنصاره، حيث اعتمد في مؤلفاته كليا، وفي كثير من الأحيان على كلام المغيلي، فمثلا في كتابه "سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان"، حيث قسمه إلى عشرة فصول، نقل في تسعة منها كلام المغيلي المتعلق بأجوبته على أسئلة الأسقيا، ولو حذفنا هاته النقول لما بقي سوى بعض فقرات قليلة أو تعليق أو وسيلة ربط بين الكلام[2].

وفي رسالة أخرى لابن فودي بعنوان " تنبيه الإخوان على أحول ارض السودان" حيث خصص الفصل السادس من هاته الرسالة لذكر وصية المغيلي لمحمد بن يعقوب أمير كانو، كما قام في رسالته المسماة "حصن الأفهام من جيوش الأوهام" بنقل الكثير من كلام المغيلي في مواضع مختلفة[3].

1- أدم عبد الله الألوري: الشيخ محمد بن عبد الكريم، أعمال اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأول المرجع السابق، ص 26.

2- عبد العلي الودغيري: **ملامح من التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدد عثمان بن فودي**،[على الخط]، مجلة التاريخ العربي، مجلة علمية محكمة، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة،ع 50، 1996م، متاح على "http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad11partie6.htm"، تاريخ الإطلاع 2011/03/05، على الساعة 10:40 صباحا.

3- المرجع نفسه، ص 16.

إن تأثير المغيلي في الأمير عثمان بن فودي لا يمكن حصره في مجرد النقول الكثيرة التي ترددت في جل كتابته، بل تجاوزت ذلك إلى الاقتداء بسيرته، وطريقته في محاربة البدع والمنكرات، ومنهجه في الدعوة إلى الله[1]، فكانت مرحلة الجهاد القولي التي بدأها الشيخ عثمان بن فودي قد قامت على النصح والإرشاد، ورفع المستوى التعليمي ومستوى الوعي الاجتماعي العام لدى المسلمين، ورسم السلوك الإسلامي القويم للفرد، ثم ركزت في المرحلة الأخيرة من مشروعه الإصلاحي على إقامة الدولة الإسلامية، وذلك بتفعيل السبل المتاحة من أجل تحقيق الهدف المنشود، لذا كان على الجماعة المسلمة أن تقاتل من أجل التخلص من الفساد والظلم، ولإرساء قواعد الحق والعدالة في المجتمع.

وهكذا فإن أثار المغيلي بغرب إفريقيا تتعدد بتعدد المجالات، والجوانب التي شملتها حركته الإصلاحية، فقد أثر في أنظمة الحكم، وفي الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية بالمنطقة، وقد كان لحكام السودان الغربي دور كبير في تسهيل نجاح دعوته خصوصا في الجانبين السياسي والاجتماعي، كما خلف المغيلي وراءه بهذه البلاد تلاميذ كثيرون يعدون بالعشرات، ناهيك عن كثير من المصنفات العلمية في المجالات المختلفة ولا يزال سكان المنطقة حتى اليوم يدينون له بالولاء الفكري، ويعترفون بفضله في مجتمعاتهم السودانية، وعدوه من كبار المصلحين ببلادهم.

وقد أعطت الرحلات التي قام بها المغيلي في السودان الغربي متنقلا بين بلدانها وولاتها دفعة قوية للعلاقة بين المغرب الإسلامي وإفريقيا الغربية، حيث لم تعد تقتصر العلاقة على الجانب التجاري بل أصبح هنا نشاط علمي حيوي يربط بين المنطقيين، إذ يمكن عده من الرموز التي يعتمد عليها في التواصل والتقارب الأفرومغاربي، كما كان لتلك الرحلات، والمناظرات العلمية التي تخللتها، والمناصب الرسمية التي تقلدها دورا كبيرا في بروز شخصيته كأحد الأعلام البارزين في تلك الفترة، حتى غدا تأثيره محفوظاً في ذاكرة الأجيال من أبناء السودان الغربيّ، وظلت أعماله وآثاره المكتوبة يحفظها العلماء ويتداولها أهل الإصلاح والسياسة ورجال الدعوة جيلاً بعد آخر، حتى

1- ياسين شبايبي: المرجع السابق، ص 149.

أصبح الاحتجاج بأقواله وآرائه السند الرئيسي في تدعيم حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية ، حيث كانوا يواجهون خصومهم في العديد من القضايا الدينية والدنيوية بفتاوى الإمام المغيلي وكتاباته بما لها في نفوس الجميع من الإجلال والإكبار.

خـــــاتـــمة:

وفي ختام هذا البحث، الذي حاولنا من خلاله تسليط الضوء على شخصية الإمام المغيلي، ودوره الإصلاحي في السودان الغربي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي خرجنا بمجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي :

– شهد عصر المغيلي إبان القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي الكثير من التطورات على مختلف الأصعدة كان أهمها: سقوط الأندلس والتحرشات الاسبانية البرتغالية على سواحل المغرب الإسلامي مع ازدهار الدولة العثمانية والمماليك الإسلامية في غرب أفريقيا.

– نشأ المغيلي في بيئة علمية استمد منها مصادر ثقافته في الشريعة الإسلامية، حيث كانت تلمسان، وبجاية، والجزائر من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي، كما عاصر الكثير من العلماء الأجلاء مثل الشيخ التنسي، والسيوطي، والسنوسي، والونشريسي، وابن غازي وعبد الرحمان الثعالبي الذي تزوج ابنته، وأخذ عنه الطريقة القادرية .

– يعد الإمام المغيلي من العلماء البارزين في القرن التاسع الهجري الذين ذاع صيتهم في كامل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي، وبلاد السودان الغربي. نظراً لغزارة إنتاجه الفكري، ودعوته الإصلاحية والجهادية.

– خلّف الشيخ المغيلي العديد من المؤلفات في مختلف العلوم، من أبرزها "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" في التصوف، و"أجوبته على أسئلة الأسقيا" في السياسة الشرعية، و"منح الوهاب في رد الفكر للصواب" في المنطق، و"البدر المنير في علوم التفسير" في التفسير و"شرح مختصر خليل" في الفقه"، و"مقدمة في اللغة العربية" في اللغة...الخ، ولا تزال الكثير من مؤلفاته حبيسة أدراج الخزائن لم تحقق بعد، وبعضها لا يزال مفقودا، كما أنه لم تسجل هناك محاولات جادة لجمع تراثه وتحقيقه سوى بعض المجهودات الفردية المحدودة.

– برزت منطقة توات في عهد المغيلي كحاضرة صحراوية جذبت إليها الكثير من العلماء والتجار بفضل أهميتها التجارية، وبعدها عن الأحداث في الشمال، كما كان لليهود مكانة

وسطوة بها بالنظر للثراء الذي حققوه عن طريق التحكم في المعاملات التجارية، فكان دخول المغيلي إلى توات محلا لبداية تنفيذ مشروعه الإصلاحي.

– جمع المغيلي في منهجه الدعوي بين العلم والعمل، فقد كان له تأثير كبير في تاريخ منطقة توات والسودان الغربي. هذا التأثير شمل جميع الجوانب تقريبا السياسية والاجتماعية والإقتصادية والثقافية، كما كان منهجه في التغيير لمقاومة أي فساد اجتماعي أو إداري أو سياسي يقوم في الأساس على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان حل به، وهو ما يعرف بنظام الحسبة الذي يعد من أبرز النظم الإسلامية التي عرفتها الحضارة الإسلامية، إذ تناوله الفقهاء في مباحث السياسة الشرعية.

– يعتبر المغيلي من بين العلماء الذين جعلوا العلوم بمختلف أنواعها عرضة للنقاش والأخذ والرد عكس ما كان سائد بين العلماء من الطاعة العمياء وعدم مناقشة أراء السابقين من العلماء في أحكامهم، ويضم كتاب "المعيار" للونشريسي الكثير من تلك الرسائل التي كان يرسلها لعلماء فاس وتلمسان وتونس والجزائر مما يدل على التحرر العقلي الذي كان يتمع به عكس منهج التقليد الذي كان سائدا.

– تعد أفكار الإمام المغيلي الإصلاحية أفكار تقدمية في ذالك العصر أبانت عن بعد نظر خاصة ما تعلق بموقفه من اليهود عكس معاصريه، فقد أبانت أرائه عن الكشف المبكر للخطر المحدق الذي يتربص بالمنطقة خصوصا والعالم الإسلامي عموما.

– بعد أن استتب له الأمر بتوات انتقل المغيلي إلى السودان الغربي لأجل إتمام مشروعه الإصلاحي، فقوبل هناك بالترحيب والتبجيل، وربطته علاقات قوية مع الملوك والأمراء، ومن أبرزهم الأسقيا الحاج محمد الكبير ملك سنغاي الذي اتخذه مستشارا له، ومحمد بن يعقوب رنفا أمير كانو ببلاد الهوسا الذي اتخذه قاضيا، وهو ما ساعده على تطبيق أفكاره في أرض الواقع، وتحقيق نجاح كبير في مشروعه الإصلاحي، حيث لعب دورا كبيرا في الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في كل من مملكتي الهوسا وسنغاي، وذلك عن طريق نظريته الخاصة في شؤون الحكم والإمارة ومشروع تنظيم وبناء الدولة.

– لم يقتصر تأثير المغيلي في السودان الغربي على الميدان السياسي والاجتماعي والتعليمي، بل تعداه ليشمل الجانب الأخلاقي أيضا، حيث يعده الكثير بأنه أول من أدخل

الطريقة القادرية للصحراء، وما يليها من بلاد إفريقيا الغربية، كما اتبعه في نهجه الكثير من العلماء والمصلحون الذين جاؤوا من بعده، ولعل من أبرزهم نجد الشيخ عثمان بن فودي زعيم الحركة الإصلاحية الفودية، الذي اعتمد في حركته أساسا على الفتاوى والآراء التي تناولتها مؤلفات الأمام المغيلي لما تتمتع به شخصيته من مكانة كبيرة في نفوس أهالي المنطقة، ولا زالت أفكاره وآراؤه محل اهتمام الجامعات الإفريقية إلى اليوم.

– رغم كل ما كتب عن الإمام المغيلي إلا أنه في نظرنا لم يوفى حقه مقارنة مع دوره الإصلاحي الذي تعدى ربوع الوطن، ويمكن عده من أبرز رموز التواصل الحضاري التي تربط الجزائر بأفريقيا الغربية، كما لازالت مؤلفاته بحاجة إلى جمعها وتنظيمها وترتيبها وتحقيقها وطبعها حتى تستفيد منها الأجيال القادمة.

وتتميماً لهذه الدراسة، يجدر بنا أن نقوم بتقديم دعوة للمختصين خاصة وغيرهم من المهتمين عامة إلى المساهمة في تحقيق التراث العلمي لمؤلفات الإمام المغيلي ونشرها، إذ أن أغلب تأليفه لم تحقق بعد، وهي موزعة خصوصا بين خزائن توات والسودان الغربي، وغيرها من الخزائن الأخرى.

وفي الأخير فأننا نأمل أن نكون قد أسهمنا ولو بجزء بسيط في التعريف بهاته الشخصية، والدور الإصلاحي الذي لعبته في السودان الغربي، ونتمنى أن تتاح لنا فرص البحث في المستقبل لمزيد من البحث في هذا الموضوع، كما نعتذر عن كلّ ما يكون قد صدر منّي من خطأ أو نقص أو تقصير، ونتوجه بالشكر مجددا لكل من ساعدنا في إتمامه من قريب أو بعيد، وصلّي اللّهم وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليماً كـــــثيـــــــــــــراً.

الفصل الأول

حياة الإمام المغيلي

-المبحث الأول: التعريف بالإمام المغيلي

-المبحث الثاني: رحلة الإمام المغيلي لإقليم توات

الفصل الثاني

الدور الإصلاحي للإمام المغيلي في السودان الغربي

- المبحث الأول: رحلة الإمام المغيلي للسودان الغربي.
- المبحث الثاني: الجهود الإصلاحية للإمام المغيلي بالسودان الغربي وتأثيرها.

الملاحق والفهارس

- الملاحق.
- قائمة المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الموضوعات

الموضوعات **الصفحة**

مقـــدمة..... أ .

الفصل الأول: حياة الإمام المغيلي.....**05**

المبحث الأول: التعريف بالإمام المغيلي.....**06**

المطلب الأول: مولد الإمام المغيلي ونشأته.....**06**

المطلب الثاني: مكانته العلمية وأهم أثاره.....**13**

المبحث الثاني: رحلة الإمام المغيلي لإقليم توات.....**21**

المطلب الأول: أوضاع توات على عهد الإمام المغيلي.....**21**

المطلب الثاني: موقفه من يهود توات.....**27**

الفصل الثاني: الدور الإصلاحي للإمام المغيلي في السودان الغربي.....**36**

المبحـــــث الأول: رحلـــــة الإمـــــام المغيلـــــي للســـــودان الغربي.....**37**

المطلـــــــــب الأول: أوضـــــــــاع الســـــــــودان الغربي.....**37**

المطلب الثاني: تنقل المغيلي للسودان الغربي.....**42**

المبحث الثاني: الجهود الإصلاحية للإمام المغيلي بالسودان الغربي وتأثيرها.....**46**

المطلب الأول: دعوته الإصلاحية بإمارات الهوسا.....**46**

المطلب الثاني: دعوته الإصلاحية بمملكة سنغاي.....**50**

خاتمة.....**57**

الملاحـــق والفهارس.....**60**

الملاحق.....**61**
قائمة المصادر والمرجع.....**69**
فهرس الموضوعات.....74

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر المخطوطة:**

1- الإدريسي مولاي أحمد: **نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة كوسام، أولاد ابراهيم، ولاية أدرار، الجزائر.

2- محمد بن العالم الزجلاوي: **تقييد نسب المغيلي، الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب توات**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة أنزجمير، بلدية ودائرة زاوية كنتة، أدرار.

3- محمد بن عبد الكريم البكراوي: **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة محجوبي عبد العزيز، أدرار.

4- محمد بن عبد الكريم التمنتيطي: **تقييد حول تاريخ تمنتيط وتوات**، مخطوط، دون ترقيم، الخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار.

5- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **المختصر في علم الفرائض**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.

6- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **الرد على المعتزلة**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.

7- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **رسالة إلى كل مسلم ومسلمة**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.

8- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة الحاج أمحمد الكنتي، زاوية كنته، أدرار.

9- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب**، مخطوط، دون ترقيم، خزانة الشيخ محمد سالم، الحي الغربي، أدرار.

- **المصادر المطبوعة:**

10- أحمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح علي عمر ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004م، ج2.

11- أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح علي عمر، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ،2004م، ج2.

12- أحمد الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب**، تح مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج2.

13- ابن بطّوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح محمد عبد الرحيم، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ج 02.

14- ابن خلدون: **المقدمة**، دار الجيل، بيروت، د س ن.

15- أبو سالم العياشي: **الرحلة العياشية (مائدة الموائد)**، ج1، تح محمد حجي، المغرب، المطبعة الحجرية، 1977م.

16- عبد الرحمان بن عبد الله السعدي: **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس، باريس، 1981م.

17- ابن عبد الرحيم المعروف بابن بابا حيدة: **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح فرج محمود فرج، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م.

18- عبد العزيز الفشتالي: **مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا**، تح عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، المغرب، ب ت.

19- عبد القادر الكسنمي الطوبوي: **البشرى شرح المرقاة الكبرى**، تونس، مطبعة المنار.

20- ابن عساكر: **دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح محمد حجي، ط2، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977م.

21- محمد بن عبد الكريم المغيلي: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح رابح بونار، ط1، 1968م.

22- ابن مريم: **البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986م.

- **المراجع:**

23- آدم عبد الله الألوري: **موجز تاريخ نيجيريا**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965م.

24- إسماعيل العربي: **الصّحراء الكبرى وشواطئها**، ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983م.

25- أبو بكر إسماعيل ميقا: **الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من ق 5 الى ق 12 هـ**، ط1، الرياض، مكتبة التوبة، 1417هـ - 1997م.

26- بكري عبد الحميد: **النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9 إلى القرن 14هـ**، ط1، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.

27- حاج احمد الصديق: **التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ/17م الى20م**، ط1، 2003م.

28- حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998م.

29- حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته**، ج1، بيروت، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992م.

30- زاهر رياض: **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى**، القاهرة، المكتبة الأنجلو مصرية، 1968م.

31- السيوطي: **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح علي سامي النشار، ط2، القاهرة، دار النهضة، 1970م.

32- عبد الرحمان الجوزي: **ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي**، كتاب تحت الطبع بيد المؤلف.

33- عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط07، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م.

34- عبد الفتّاح الغنيمي: **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، القاهرة، مكتبة نهضة الشّرق.

35- عبد القادر زبايديّة: **الحضارة العربيّة والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء** -دراسات ونصوص- الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، 1985م.

36- عبد القادر زبايدية: **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين** (1493-1591م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

37- العماري أحمد: **توات في شروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي 1850 إلى 1902م**، ط1، المغرب، دار الباحث العربي، 1988م.

38- فرج محمود فرج: **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م.

39- فوزي سعد الله: **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ط1، الجزائر، شركة دار الأمة، 1996م.

40- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري** (16-20م)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

41- محمد باي بلعالم: **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، ط1، ج1، الجزائر، دار هومه، 2005م.

42- محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الذكية في طبقات المالكية**، دار الفكر.

43- محمد سالم: **تأثير الأزمات التاريخية والإقليمية في حياة الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي**، كتاب تحت الطبع بيد المؤلف.

44- مقدم مبروك: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال مصادر والوثائق التاريخية**، ط1، مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م.

45- مقدم مبروك: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية- خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة**، 2ج، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م، ج1.

46- يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن.

- **المقالات (المجلات والمهرجانات):**

47- أعمال اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، 13-14 شعبان 1405هـ/03-04 ماي 1985م، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1988م.

48- مجلة التاريخ العربي [على الخط]، مجلة علمية محكمة، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة،ع 50، 1996م، متاح على "http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad11partie6.htm"، تاريخ الإطلاع 2011/03/05، على الساعة 10:40 صباحا.

49- مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع26، س4، 1975م.

- **الرسائل الجامعية:**

50- أحمد الحمدي: **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره**، إشراف عبد المجيد بن نعمية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، عام 1999- 2000م.

51- بوغرارة منيرة: **محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم

التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

52- ياسين شبايبي: **الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، عام 2006-2007م.

<u>الملحق رقم 01</u>: صورة أمامية لضريح الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من التقاط الطالب بتاريخ 2010/12/27م بالقصر المعروف باسمه حاليا (زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي) زاوية كنتة ولاية أدرار.

<u>الملحق رقم 02</u>: صورة من داخل مسجد الشيخ المغيلي بقصر بوعلي زاوية كنتة أدرار عن: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، أعمال اللجنة الولائية المكلفة بتحضير المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، عام 1405هـ - 1985م .

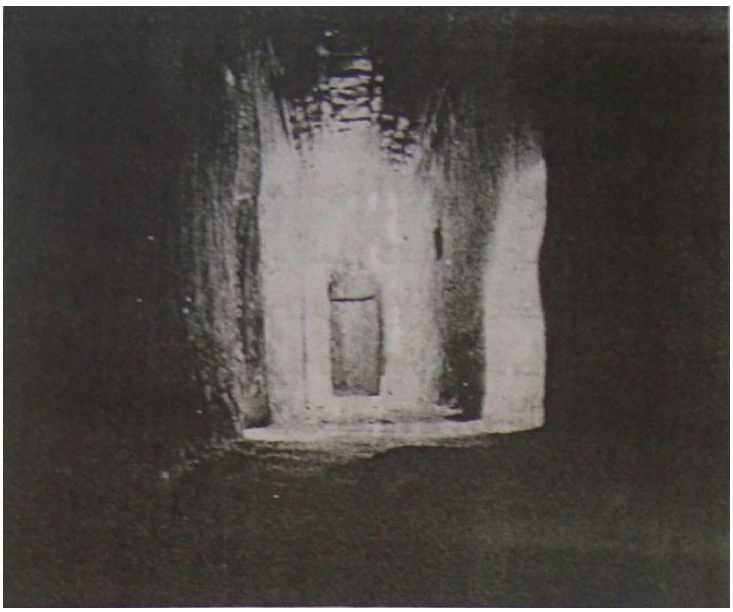

<u>الملحق رقم 03</u>: صورة لقبر نجل المغيلي علي بأولاد سعيد تيميمون ولاية أدرار عن: المرجع نفسه.

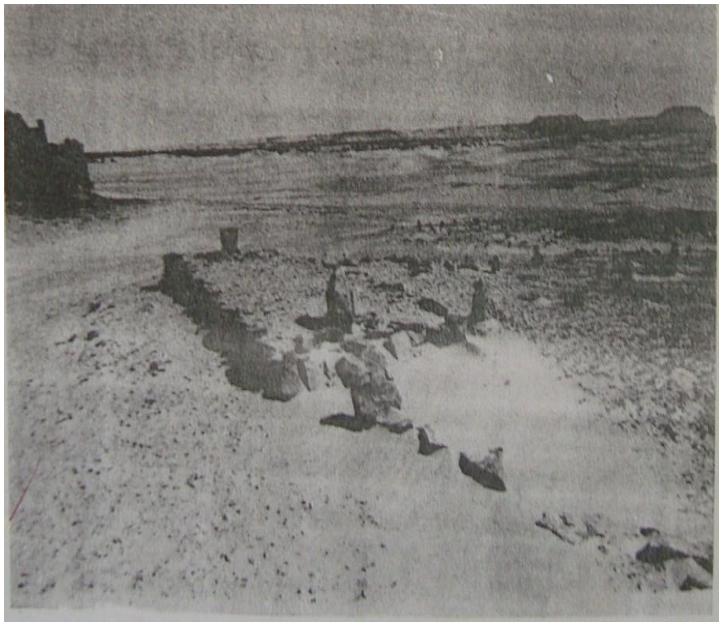

<u>الملحق رقم 04</u>: صورة لقبر زوجة المغيلي بأولاد سعيد تيميمون أدرار عن : المرجع نفسه.

<u>الملحق رقم 05</u>: الورقة الأولى من مخطوط "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دون ترقيم، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، ولاية أدرار.

<u>الملحق رقم 06</u>: الورقة الأولى من مخطوط "الرد على المعتزلة" للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دون ترقيم، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.

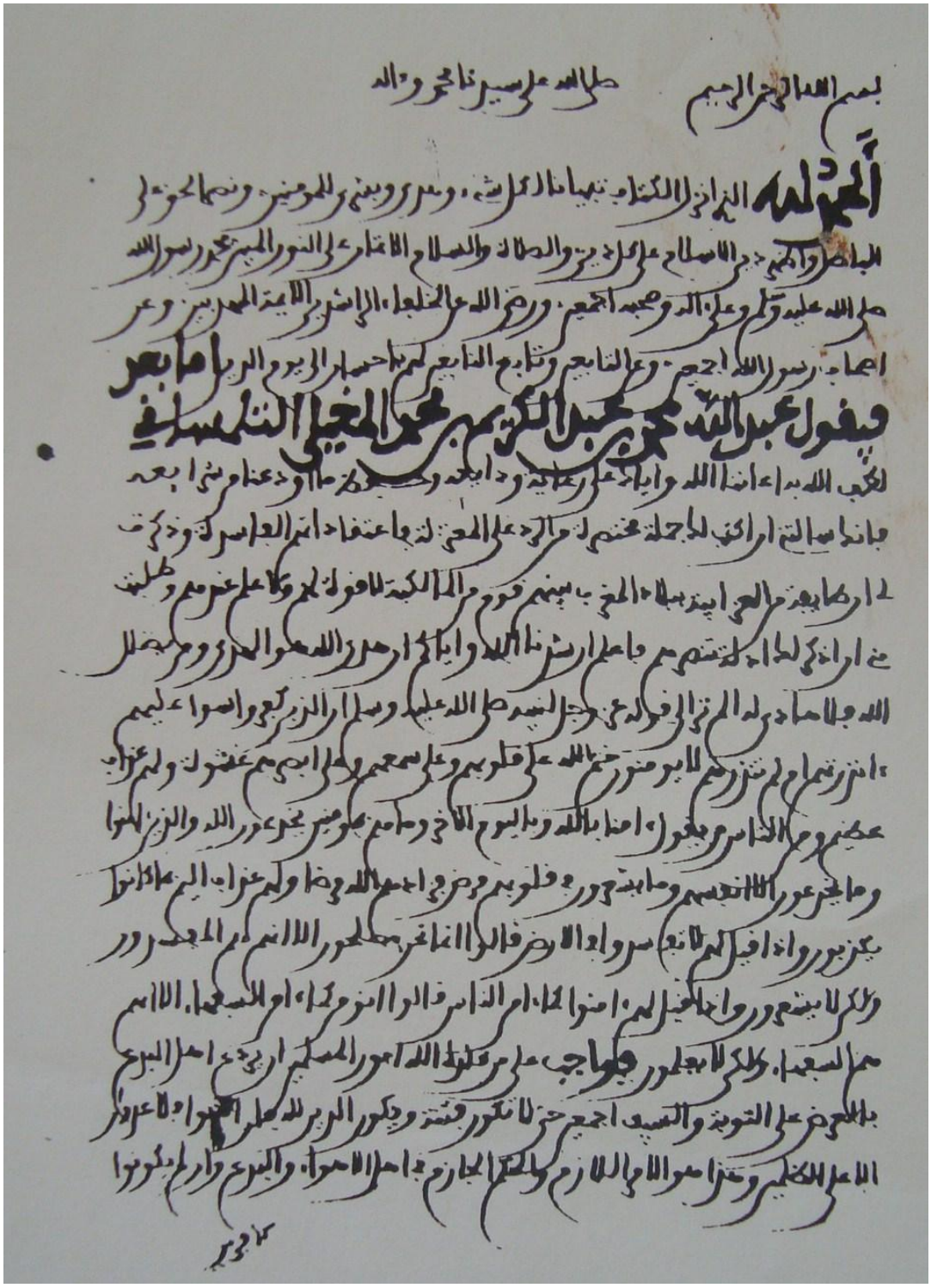

<u>الملحق رقم 07</u>: الورقة الأولى من مخطوط "المختصر في علم الفرائض" للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دون ترقيم، خزانة بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار.

<u>الملحق رقم 08</u>: الورقة الأخيرة من مخطوط "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دون ترقيم، خزانة الحاج أمحمد الكنتي، زاوية كنته، أدرار.

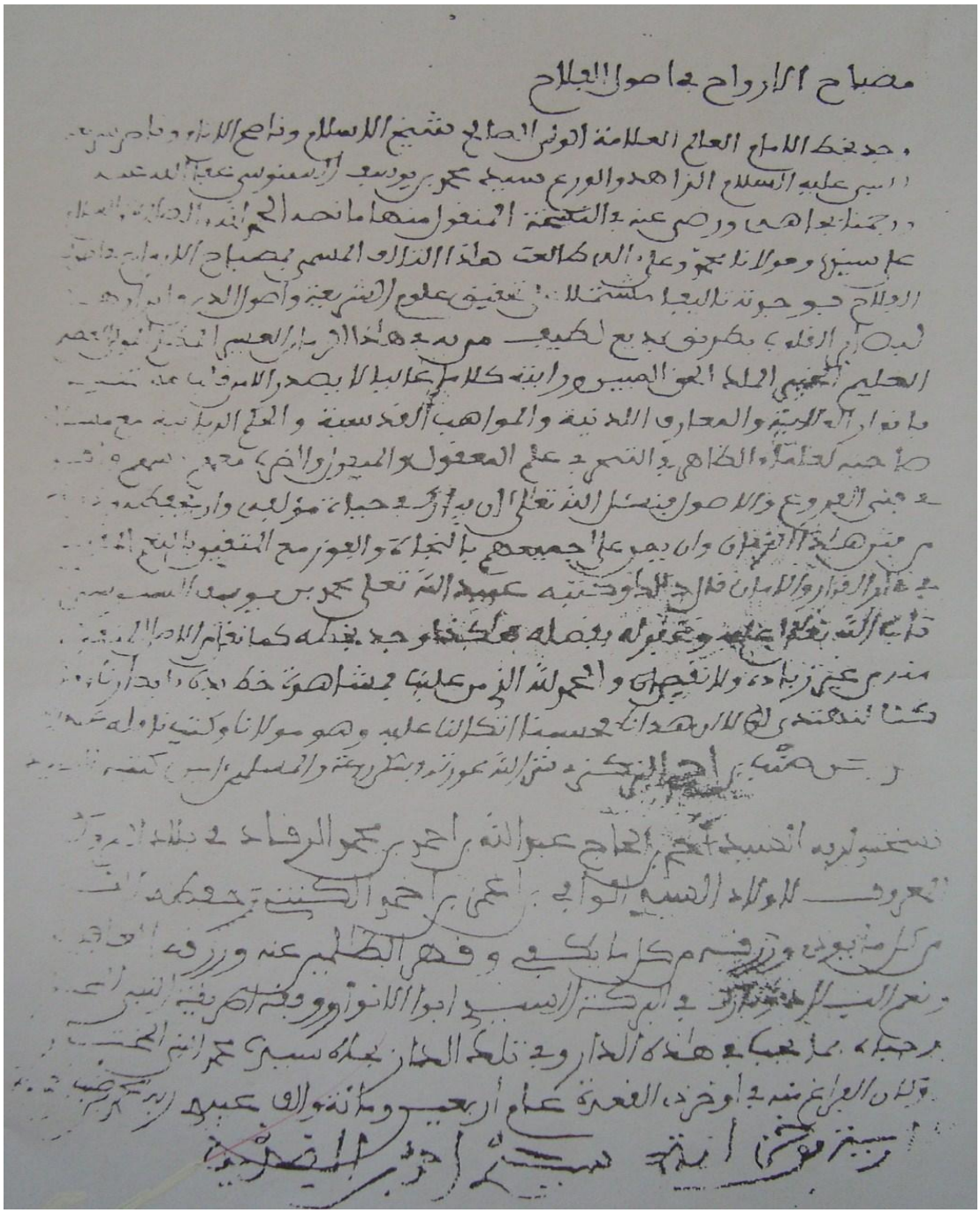

<u>الملحق رقم 09</u>: الورقة الأولى من مخطوط "منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب" للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، دون ترقيم، خزانة الشيخ محمد سالم، الحي الغربي، أدرار.

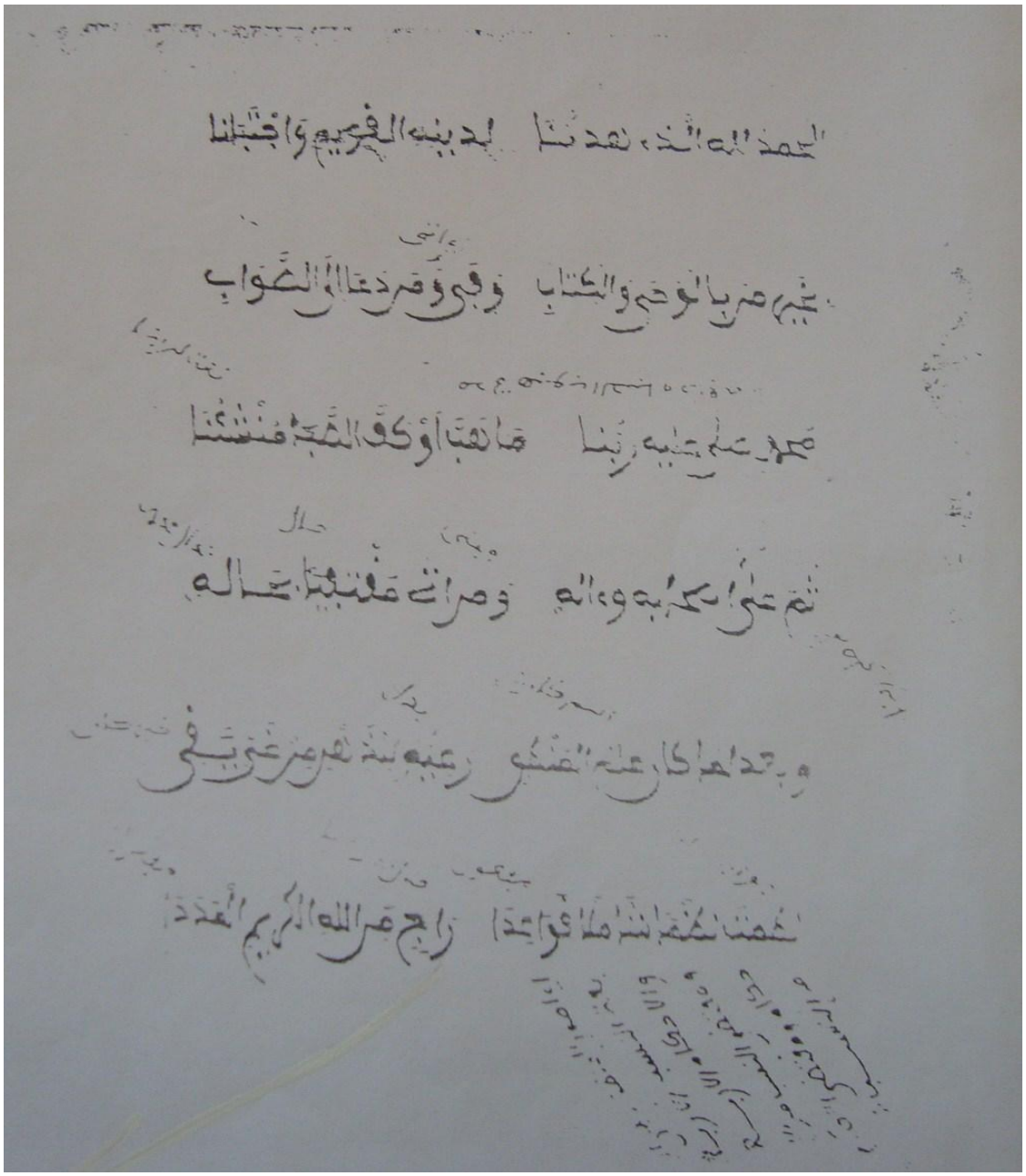

<u>الملحق رقم 10</u>: خريطة تبين تنقلات المغيلي في بلادي المغرب وغرب إفريقيا ورحلته إلى الحجاز عن: بوغرارة منيرة: محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، المرجع السابق.